الفصل الثالث
مرحلة الطفولة الوسطى

تعد هذه المرحلة من مراحل النمو الهادئة، وهي في ذات الوقت من المراحل المهمة في حياة الطفل؛ إذ يلتحق خلالها بالمدرسة التي تفتح أمامه آفاقًا جديدة، وتتسع خبراته، وتزداد وتتنوع معرفته، وتنضج قدرته على التفاعل مع الآخرين، وتنغرس قيمه التربوية واتجاهاته الاجتماعية الجديدة، ويصبح أكثر اعتمادًا على نفسه في تحمله للمسئولية.

واختيار العمر من (5-6) سنوات كسن يذهب فيه الطفل إلى المدرسة لم يأت جزافًا؛ بل جاء نتيجة اقتناع وفهم لدى المسئولين والعاملين في ميدان الطفولة من أن هذا العمر مناسب تمامًا من الناحية النفسية والبدنية والاجتماعية للطفل لكي يواجه عالم المدرسة الواسع في معارفه ونظامه والعلاقات السائدة فيه، واستعداده لكي يغادر بيئة الأسرة الضيقة إلى بيئة تربوية أخرى أرحب منها في كل شيء، لهذا نجد أن طفل هذه المرحلة ما أن تطأ قدماه المدرسة حتى تبدأ حواسه وعيناه بملاحظة وتسجيل كل الظواهر والأشياء التي يراها لأول مرة، وما يلبث أن يبدأ بالسؤال عنها باحثًا عن أجوبة شافية ترضي فيه فضول الطفولة، وتساعده على التكيف مع هذه الأشياء والظواهر بسهولة ويسر؛ وعندما يتدرج في المدرسة فإنه يقوم خلال ذلك ببناء الكثير من الخبرات والمهارات والتصورات التي يحتاج إليها ؛ بدءًا بالقراءة والكتابة التي تمنحه قدرًا كبيرًا من الثقة بالنفس، مرورًا بالفروض والواجبات التي يقوم بإنجازها، والتي تمنحه أيضًا قدرًا من الشعور بالمسؤولية، فضلا عن إحساسه الدائم بضرورة أن يتميز على أقرانه ويتفوق عليهم، فهو دائم السعي والتجريب لأن يكون بارزًا متفوقًا متقدمًا عليهم، وبعدها يقوم بتحديد موقعه الدراسي بين زملاءه؛ فيتوافر لديه عند ذلك مفهوم تقدير الذات Self Esteem ، ويرافق كل ذلك اتساعٌ مضطرد في آفاقه المعرفية، ونضوج شخصيته

وتراكم الخبرات لديه، ومعرفة طبيعة التعامل الاجتماعي بينه وبين أقرانه من جهة، وبينه وبين عناصر العملية التعليمية في المدرسة (المعلم ، المدير ، المشرف، العاملين الآخرين...) فيزداد – نتيجة لذلك – إحساسه الداخلي بأهمية كيانه المتنامي وقدراته المتصاعدة.

ولكي نتحاشى إعطاء عموميات عن هذه المرحلة ؛ فإننا نجد من الضروري أن نتطرق إلى كل جانب من **جوانب النمو في هذه المرحلة** على حدة؛ لنرسم الصورة النفسية والاجتماعية والانفعالية والجسمية والعقلية لطفل هذه المرحلة، ولكي نتعرف على التطورات النمائية المختلفة في كل جانب.

1- النمو الجسمي: Physiological Growth

برغم تباطؤ النمو في هذه المرحلة إلا أن طول الطفل ووزنه يزدادان نوعًا ما ، ويمكن أن يُعزى ازدياد الوزن في هذه المرحلة إلى الزيادة السريعة الحاصلة في نمو العضلات والعظام، ولهذا نجد أن هناك فرقًا واضحًا في الوزن بين الجنسين لصالح الذكور مردُّه تراكم الشحوم ونمو عضلات البطن والساقين والذراعين بشكل أكبر منه لدى الإناث.

أما الطول فيشكل نسبة تزيد عن 60٪ من طول الطفل عند ما يصبح راشدًا؛ إذ ينمو الذارعان والساقان، ويتباطأ عنهما الجذع بعض الشيء، أما ملامح الوجه فهي تتمايز بشكل كبير لتعطينا صورة شبيهة بصورة الطفل عندما يكون راشدًا.

وفي هذا العمر تبدأ الأسنان اللبنية بالتساقط لتحل محلها الأسنان الدائمة ، مما يتيح أمام الطفل فرصة تناول مختلف الأطعمة التي تقدم له، وهذا التنوع في الطعام سوف يعطيه طاقة كافية ليمارس نشاطاته المختلف، فضلاً عن منح الجسم حصانة ووقاية ضد الأمراض المعدية خلال هذه المرحلة.

أما حواس الطفل فإنها تكون متباينة في درجة نموها في هذه المرحلة؛ ففي مجال الإبصار يكون التمييز البصري لديه ضعيفًا بسبب بعد النظر الذي ما يلبث أن يزول تلقائيًّا، ففي هذه المرحلة يرى الطفل الكلمات الكبيرة والأشياء البعيدة أكثر من

رؤيته للكلمات الصغيرة والأشياء القريبة، وهذا قد يسبب للبعض منهم الصداع أو الصعوبة في القراءة.

أما جهازه السمعي فإنه هو الآخر غير نامٍ بشكل كاف، فهو يسمع الأصوات بشكل كلي دون أن يمتلك القدرة على فرز هذه الأصوات أو نغماتها أو إيقاعاتها والتفريق فيما بينها.

لكن حاسة اللمس تكون في هذه المرحلة قد بلغت درجة عالية من القوة، ولعل مرد ذلك ميل الطفل المستمر إلى تفحص الأشياء، لمسها والتعامل معها من خلا ل الإحساسات التي تتولد عنها من خلال لمسها.

2- النمو الحركي: Motor Growth

أشرنا فيما سبق إلى أن الطفل في هذه المرحلة تنمو عضلاته الصغيرة والكبيرة بشكل ملحوظ، مما يتولد عنه نشاط حركي متزايد بمختلف ألوانه، ويتيح الفرصة للطفل لاكتساب المهارات الحركية التي يحتاجها، فضلاً عن الإحساس بالكفاءة في أداء بعض الأنشطة الحركية التي يريدها، ولعل مرد هذه الكفاءة عائدٌ إلى ازدياد التآزر الحركي والتوازن والدقة في أداء الحركة، والقدرة على استخدام العضلات بشكل موفق، إذ يصبح قادرًا على القيام ببعض الألعاب التي تتطلب مهارة في حركة الأصابع والرسغين؛ كالكتابة والرسم والتلوين، والقفز من فوق الحبل، وقص الأشكال بالمقص ولصقها في أماكنها المطلوبة ، وبعض أشغال الإبرة بالنسبة للبنات، أي إن الطفل في هذه المرحلة يزداد عنده التوافق بين العين والأعمال اليدوية التي يمارسها، وليس هذا وحسب، فإن الطفل في هذه المرحلة يستخدم عضلاته الكبيرة ، كاللعب بالكرة والقفز والجري والتسلق وركوب الدراجات وغيرها من الألعاب.

3- النمو اللغوي: Linguistics Growth

تزداد الثروة اللغوية لدى الطفل في هذه المرحلة لسبب رئيسي مهم؛ هو المدرسة ومتطلباتها التي توجب عليه استخدام مفردات جديدة ومتطورة باستمرار،

وامتلاكه لقدرة القراءة ، فضلا عن انخراطه في جماعة المدرسة (الأقران)، والتعامل معهم داخل المدرسة من خلال الدروس والواجبات الجماعية التي يؤدونها بتوجيه من المدرسة، أو خارج المدرسة من خلال الألعاب المختلفة التي يلعبونها سويًّا بعد العودة منها.

وإذا كانت القدرة على القراءة والكتابة والتمكن منهما يتيحان للطفل إنماء ثروته اللغوية، فلا شك أيضًا أن لإدراكه العمليات الحسابية الأساسية والتي تزداد تعقيدًا سنة بعد أخرى تتيح له -هي الأخرى- الفرصة لكي يفكر، ومن ثم يُعبرِّ عن أفكاره هذه من خلال الحلول التي يستنتجها أو يتوصل إليها، وتقديم هذه الأفكار على شكل علائق منطقية بين الأرقام أو العمليات الحسابية التي يقوم بها.

وعلى العموم فقد أكدت الكثير من الدراسات التي تناولت النمو اللغوي في هذه المرحلة أن الإناث يتفوقن بشكل ملحوظ على الذكور في النمو اللغوي، وفضلاً عن ذلك فإن درجة الذكاء التي يتمتع بها الطفل (ذكرًا كان أو أنثى) تؤثر هي الأخرى في مستوى نمائه اللغوي؛ فكلما كان مستوى ذكاء الطفل مرتفعًا كان نموه اللغوي أفضل بالتأكيد، ولا ننسى هنا أيضا دور الحالة الانفعالية للطفل في مستوى تطوره ونماءه اللغوي؛ فحالات الخوف والقلق والحرمان وغيرها تؤثر – ولاشك – في لغة الطفل، وقد تخلق لديه عقبات لغوية مختلفة كالتهتهة والفأفأة واللعثمة وغيرها.

4- النمو الانفعالي: Emotional Growth

تتميز هذه الفترة من حياة الطفل بالثبات الانفعالي نسبيًّا ، ولعل ذلك عائدٌ إلى اتساع دائر ة الطفل وتشعب هذه الاتصالات، فهي لم تعد مُركَّزة على موضوعات محددة، بل موزعة، وهذا التوزيع من شأنه أن يخفف من حدَّتها وشدتها، كما أن هذه المرحلة أيضا تتميز بميل الطفل للتنافس مع أقرانه في الدراسة أو اللعب، وتنضج لديه قيمة السيطرة على انفعالاته، فيعبر عن نفسه ويشبع ذاته من خلال اللعب الإيهامي، فضلاً عن ميله إلى الأعمال اليدوية وعدم ميله إلى ما هو شفوي أو لفظي، وهذا من شأنه أيضا أن يخفف من بعض انفعالاته ويمتصها.

ولعل أهم ما يميز انفعالات الطفل في هذه المرحلة هو تكوُّن العادات الانفعالية، مثل حب الآخرين ومساعدتهم، والتعاطف معهم في الأزمات التي يمرون بها، واندفاعه لتحمل المسئولية بدافع وجداني منه، كما أنه يكون في هذه المرحلة قادرًا على السيطرة على الانفعالات الشديدة التي كانت تدفعه في المرحلة السابقة إلى الثورة وتحطيم الأشياء والمعاندة، وفرض آرائه، إذ يكون أكثر تفهمًا وعقلانية وسيطرة على نزعاته واندفاعاته وتهوره في هذه المرحلة.

5- النمو العقلي: Mental Growth

تحصل في هذه المرحلة تطورات نمائية واضحة في العمليات العقلية؛ حيث يبدأ الطفل بإدراك موضوعات العالم الخارجي من حيث اتصالها ببعض، كما أنه يقوم بصياغة إدراكاته هذه بصيغ كلية، أي: إنه يدرك الموضوعات من حيث هي كل، ولا يهتم كثيرًا بالجزئيات، أما الكلمات فهي لا تعني عنده شيئا إلا إذا ارتبطت بخبرة حيّة.

كما أنه يستعين في تفكيره بالصور البصرية للأشياء التي يلاحظها في حياته اليومية، ويصبح تفكيره واقعيًّا، ويميل إلى التذكر الآلي، كما أنه لا يتمكن من التركيز على موضوع معين فترة طويلة، خاصة إذا كان حديثًا شفهيًّا.

ويتعلم الطفل الأمور التي لا تحتاج إلى مجهود عقلي وتفكير عميق، لهذا نجد أن غالبية الأطفال في هذه المرحلة يميلون إلى الأغاني والأناشيد والمقاطع الملحنة والمسجوعة، والتراكيب اللفظية التي تحدث النشوة فيهم.

ويرى بياجيه أن الأطفال في هذه المرحلة تنشأ لديه قدرة جديدة، سماها (المعكوسية Reversibility) أي: القدرة على القيام بالعمليات المنطقية باتجاهين متعاكسين، مثل إدراكه أن الجمع هو عكس الطرح، بمعنى أن جمع ثلاثة مع ثلاثة يساوي ستة، وأن طرح ثلاثة من الستة يعني عكس الأولى، ولعل هذا المستوى من التفكير هو خطوة متقدمة على طريق انتقال الطفل من التفكير الحسي إلى التفكير المجرد الذي يأخذ صورته الكاملة في نهاية هذه المرحلة.

6- النمو الاجتماعي: Sociological Growth

يتميز النمو الاجتماعي في هذه المرحلة بازديا الاستقلالية عن الوالدين، وقدرة الطفل على تكوين علاقات اجتماعية داخل الأسرة والمدرسة، وسعيه لتوسيع قاعدة معلوماته وتطوير خبراته ومهاراته، وبناء صورة لذاته يستطيع من خلالها أن يحدد إمكانياته وقدراته وطموحاته، وهذه التصورات مهمة ومفيدة للطفل؛ فهي المهماز الذي يدفعه للتقدم والتفوق الدراسي وزيادة الثقة بنفسه وبكيانه وقدراته المتصاعدة، وهذا ـ بالطبع ـ مُتأتٍّ أيضا من اتساع معرفته ونضوج شخصيته وتراكم خبراته، وتنوع علاقاته الاجتماعية مع الأفراد الذين يتعامل معهم أقرانًا أو موجهين (آباء ، معلمين..).

والطفل في هذه المرحلة تكون علاقته بأمه علاقة حب وعطف وطاعة، ولا يلتمس معونتها إلا عندما تضيق به السبل ولا يستطيع القيام ببعض الأمور لاعتداده بذاته، أما علاقته بأبيه فهي علاقة احترام وخوف وعقاب، وتصبح الضوابط العائلية المتمثلة بالأوامر والنواهي والتوجيهات والتحذيرات هي مقياسه الأخلاقي الذاتي، أو ضميره الذي يبني عليه تقديرات الخطأ والصواب والشر والخير فيما بعد وفقًا للمثل الأخلاقية والعادات الاجتماعية السائدة في بيئته ومجتمعه.

أما أهم الأحداث الاجتماعية في حياة الطفل في هذه المرحلة ، فهي – بلا شك – المدرسة التي تمثل بالنسبة له تجربة مليئة بالخبرات التي لم يكن يألفها في السابق، فمن خلال المدرسة يصبح ماسكًا بناصية القراءة والكتابة، ويكتشف من خلالها عوالم فكرية وتخيلية جديدة، من خلال المدرسة أيضًا تتطور قدرته على التفاعل الاجتماعي مع أقرانه، وتتطور قدرته على ضبط انفعالاته والسيطرة عليها، ويتعلم قيمًا واعتبارات جديدة؛ كالتعاون والصدق والطاعة والنظافة واحترام الآخرين والأمانة، وغيرها من الخصال الحميدة، كما يتعلم في المدرسة أيضًا أن هناك قيمًا سلبية مرفوضة وغير مقبولة ؛ كالعدوان والكذب والسرقة والغش وغيرها هذه القيم كلها سرعان ما يتعرف عليها الطفل في المدرسة، ويتعرض لمواقف التأكيد عليها بشكل يكاد يكون يوميًّا من قبل المعلم وإدارة المدرسة، فتتكرس لديه وتصبح جزءًا من شخصيته فيما بعد.

ومن المؤثرات الاجتماعية المهمة التي يتعرض لها الطفل في هذه المرحلة هو انخراطه في مجموعات صغيرة من أقرانه أو أصحابه Peer group ، وغالبًا ما تكون هذه المجاميع من مناطق سكنية متقاربة، إذ يجمعهم بادئ الأمر ذهابهم وإيابهم سويًّا إلى المدرسة، ثم ما تلبث هذه العلاقة أن تتطور لتصبح مجموعة حميمة ، يقودها واحد من داخلها له من الصفات ما يؤهله لهذا القيادة، ويلجأ إليه الآخرون للتشاور معه عندما يرغبون بتدبير أمر ما ؛ مثل تشكيل فريق للعب الكرة، أو القيام بنشاط معين، وهذا (الزعيم) يحاول جاهدًا أن يعمل على ضمان ولاء مجموعته له، ويضمن تعاونها وانتمائها إليه، شعورًا منه بأنه يتحمل مسئولية تجاه أقرانه هؤلاء ، وهذه المجموعة تلعب دورًا كبيرًا في حياة الطفل الدراسية والمستقبلية، فإذا كانت توجهات هذه المجموعة وزعيمها إيجابية نحو المدرسة ؛ فإن ذلك قد يخلق لديه روح المنافسة والطموح العالي ويتفوق في المدرسة، وإذا ما حصل العكس،فإنه قد يتأخر في دراسته، ويتراجع مستواه الدراسي إلى الخلف، وقد يهرب منها إرضاءًا لمجموعته أو لرأسها الذي يقودها، ومن هنا يتأتي أثر مثل هذه المجاميع في حياة الأطفال، وضرورة أن يعرف الأبوان من هم أصحاب وأقران الطفل ليتدخلا مبكرًا عندما يعرفان أن صحبته مع هذه المجموعة تنطوي على خطر تربوي لا يمكن إصلاحه فيما بعد.

مشكلات مرحلة الطفولة الوسطى :

فيما يلي عرض لأهم المشكلات النفسية والتربوية لهذه المرحلة وهي:

1- مشكلة الكذب.

2- مشكلة السرقة.

3- مشكلة الخجل.

4- المخالفة وعدم الطاعة.

5- التخريب والتدمير.

* * *

1- الكذب Lying

يقول علماء النفس بأن الشخص العادي (في المعدل) يقول ثلاث كذبات في اليوم، أو أكثر من ألف كذبة في السنة، ولكن مواقف حياتنا اليومية تكشف عن زيادة ملحوظة في هذا المعدل، حيث وجد أن الاستعداد للكذب يختلف بشكل كبير من شخص لآخر، هذا بالنسبة للكبار الذين يكذبون بوحيٍ من وعيهم وإدراكهم، مع توافر عامل القصد، ومن أجل إخفاء الحقيقة عن الغير لأي سبب من الأسباب، فما بالك بالأطفال الذين قد يغلب الخيال على وعيهم وإدراكهم، فيصبح الكذب لديهم هو الحقيقة بعينها، لا بل إن الأمور قد تلتبس عليهم، فتصبح حتى أحلامهم حقيقة ، فتراهم يروونها لك على أنها حقائق، رأوا أحداثها وعاشوا تفاصيلها وكانوا شخوصها وأبطالها.

إن الطفل يتعود على الكذب من بيئته (داخل الأسرة وخارجها) لاسيما تلك التي تقوم على الخداع وعدم المصارحة والغش وانتحال المعاذير الواهية وإظهار التشكك في صدق الآخرين، وعندها يرى أن وسيلته لتحقيق أهدافه هي الكذب؛ هذا إذا ما علمنا أن الطفل بمقدوره تمامًا أن يفرق بين ما هو كاذب وما هو صادق، لا بل إن كذب الأطفال إنما يكون محض نتاج يخلقه خيالهم الطليق، لكن الخطر في ذلك هو تفاقم الكذب وتطوره ليصبح نمطًا من أنماط السلوك، وهذا ما يحتم علينا نحن الكبار ألَّا نتهاون مع الأطفال الذين يكذبون؛ بل المطلوب بذل كل مجهود ممكن لتجنيبهم الكذب، ولتدريبهم على الصدق والأمانة في القول، وهذا لا يعني أن نجزع ونتطير من كل قول كاذب يطلقه الطفل ونسارع إلى عقابه؛ إذ إن كثيرًا ما تكون أكاذيب الأطفال بريئة لا تستحق العقاب، لأن هذا الأسلوب قد يعطي نتائج سلبية وعكسية ضارة، وربما تتكرس وتترسخ ظاهرة الكذب بسبب هذا العقاب، فقد ذكر ليونارد Leonard الذي جمع (700) نوع من أنواع السلوك الذي يتصف بالكذب وحللها ، فوجد أن 68٪ منها ترجع إلى الخوف من العقاب وعدم استحسان البالغين ، و12٪ منها ترجع إلى أحلام اليقظة والخيال، وعدم الدقة في

نقل التفاصيل، و20٪ كان الغرض منها الغش والخداع والكراهية [1].

إن بعض أنواع الكذب ليست إلا نتيجة طبيعية لمرحلة النمو التي يحياها الطفل، أي: إنها نوع من نوع من السلوك العرضي الذي يزول بمساعدة الأسرة والبيئة المحيطة بالطفل، فبعض الأطفال يكذبون لأنهم يتمتعون بخيال واسع يدفعهم إلى اختراع مواقف وقصص يقومون فيها بدور البطولة، أو أن بعضهم يحسون بالخوف ويتزعزع أمنهم النفسي لظرف طارئ، فيلجئون إلى (اختراع) موضوعات نسميها نحن الكبار كذبًا، وهي في حقيقتها من صنعنا نحن لأننا ألجأنا الطفل إليها بسبب عقم أساليبنا وعدم فهمنا وتقديرنا لهذه المرحلة، وبهذا فإن الطفل يكون محقًّا عندما يكذب؛ لأنه يريد أن يتخلص من العقاب، ولأننا نحن الذين أكسبناه هذه العادة، ولو كانت لأي منا- نحن الذين نعاني من أبنائنا الذين يكذبون - بعض الحصافة والمرونة والتعقل لَمَا دفعناهم إلى هذا السلوك الذي لا نرتضيه، وهي بعد كل هذا عادة لا تخيف إذا كانت هذه أسبابها، وبإمكاننا تخليص الطفل منها بشيء من التوجيه والمرونة والفهم المتعقل لطبيعة مرحلة الطفولة، فهي أنماط سلوكية كثيرًا ما تكون مميزة لمرحلة معينة من مراحل النمو العقلي والاجتماعي، ولذلك فهي تختفي مع الزمن مع بعض الجهد في مساعدة الطفل على التخلص منها، أما أنماط السلوك الكاذب الخطيرة فهي تلك التي تتعلق بصحته النفسية وتؤثر عليها تأثيرًا بيِّنًا كالكذب المبني على الكراهية والحقد والانتقام، فهو كذب متعمد ومع سبق الإصرار، ويحتاج من الطفل التفكير والتدبير بقصد إلحاق الضرر والأذى بالشخص المكروه، ويكون هذا السلوك في العادة مصحوبًا بالتوتر الانفعالي والألم؛ لذلك يُعدُّ الطفل الذي يتصف بهذا النوع من الكذب طفلاً مريضًا نفسيًّا، فالكذب في حالته هذه ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير عن عدم تكيفه للوسط الذي يعيش فيه، ولو عدنا إلى أساسيات هذا السلوك ومسبباته لوجدناه في الأسر التي يسود فيها نوع من النظام الصارم والعقوبات الشديدة، واختلاف

([1]) رمزية الغريب، العلاقات الإنسانية في حياة الصغر ومشكلاته اليومية ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية. ص206.

الأبوين في طريقة حل مشكلات أبنائهما، والتفكك الأسري، والإفراط حين يستلزم الأمر قدرًا من المرونة، والتفريط حين يستدعي الأمر بعض الحزم المطلوب من أجل التوجيه والإرشاد.

أنواع الكذب:

1- الكذب الخيالي: Lying Imagination

وهذا النوع من الكذب لا يمكن اعتباره كذبًا بالمعنى المعروف لسببين؛ أولهما: سهولة تخليص الطفل منه بشيء من التوجيه والمرونة. وثانيهما : أن هذا النوع من الكذب لا يؤدي إلى الإخلال بالقيم الأخلاقية والاجتماعية، فبعض الأطفال لديهم شيء من سعة الخيال والانغماس في أحلام اليقظة، فهو حينما يختلق - بوحي من خياله- بعض الأعمال وينسبها إلى نفسه أو إلى أبيه إنما يشبه بهذا كاتب القصة والرواية، أو الشاعر الذي لا يمكننا أن نتهمه بالكذب إذا ما رسم لنا - بوحي من خياله - صورًا فنية وأدبية لأحداث معينة، وإذا كان الأمر بالنسبة للقاص والروائي هو تصوير الحديث بالشكل الذي يثير القارئ بما يجعله يلتصق بجوِّ الرواية ويعايش تفاصيلها، فإن المسألة بالنسبة للطفل غير ذلك، فإن الأحداث التي يرويها ليس المهم فيها حبكتها ومدى تماسك موضوعاتها وتفاصيلها ودقة صياغتها، إنما المهم فيها أن تعطيه نوعًا من الرضى عن النفس، وتبعده عن دنيا الواقع بمساوئه وصلاته الكريمة المعقدة، وتدخله في دنيا الأحلام والتخيلات التي تصبح في نظره أكثر حلاوة وعذوبة؛ لأنه هو الذي يصنعها كما يتمنى ويشتهي.

وهذا النوع من الكذب يجب ألَّا يقلق الوالدين؛ بل يتركوا الأمر للزمن، فهو كفيل بإنهاءه كسلوك عند الطفل، ويبقى أمامهم أن يكتشفوا في الأطفال هذه القواعد الخيالية، ويوجهونها الوجهة الصالحة، فقد ينبغ مثل هؤلاء الأطفال في مجال الشعر أو القصة أو التمثيل إذا ما وجدوا التوجيه السليم.

2- الكذب الالتباسي: lying Confusionl

يلجأ الطفل إلى هذا النوع من الكذب لأن الحقائق تلتبس عليه، وتعجز ذاكرته

عن أن تعي حادثة معينة بتفاصيلها، فيحذف منها بعض التفاصيل، ويضيف أخرى من عنده، حتى تكون مستساغة ومألوفة لديه، وبذلك يستطيع تذكرها، وهذا النوع من الكذب يزول عادة من تلقاء نفسه إذا كبر الطفل ووصل عقله إلى مستوى يمكنه من أن يدرك الفرق بين الحقيقة والخيال، وهذا لا يعني أن نتركه حتى يزول من نفسه؛ بل يحتاج إلى شيءٍ من التوجيه والإرشاد مع مراعاة مستوى إدراك الطفل وتفكيره.

3- الكذب الادعائي: lie of vanity

ويحدث عادة عندما يبالغ الطفل في وصف تجاربه الخاصة؛ فيجعل من نفسه بطلاً يستطيع جذب انتباه من حوله من الكبار، ويهدف هذا النوع من الكذب إلى إحداث السرور في نفس السامع، وبذلك يتحقق لدى الطفل الإشباع لنزعة السيطرة وتأكيد الذات، أما العوامل التي تساعد الطفل على ممارسة هذا النوع من الكذب فهي الشعور بالنقص الذي يحاول إكماله بتعظيم ذاته عن طريق الكذب، أو أن هذا النوع من الكذب قد يظهر عندما لا يقدر الطفل على الانسجام مع من حوله.

ومن ضيق البيئة التي يعيش فيها كالبيت أو المدرسة، أو كثرة الإذلال والعقاب الذي يتعرض له وبالشكل الذي يمنعه من الظهور و البروز بين أقرانه، أو عدم حصوله على العطف الكافي من والديه؛ فيلجأ إلى الكذب ، فهو تارة يدعي أنه مضطهد أو مظلوم أو سيئ الحظ، وتارة يدعي المرض ليحصل على بعض ما افتقده من رعاية اهتمام من والديه أو من الآخرين.

وهذا النوع من الكذب يتطلب الإسراع في علاجه منذ الصغر، وإلَّا نما وتفاقم مع نمو الطفل، فالكثير من الكبار والراشدين يتحدثون عن مغامراتهم وأسفارهم وأعمالهم الخارقة، وهي في حقيقتها محض هراء وادعاء، وأساسها الكذب الادعائي الذي مارسوه في طفولتهم ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منه أو يجدوا من يساعدهم على الخلاص منه.

4- الكذب العنادي: lie of obstinacy

وهو الكذب الذي يتحدى فيه الطفل سلطة والديه؛ خاصة إذا كانت رقابتهم عليه شديدة وبعيدة عن العطف والحنان، وهذا الكذب يوفر للطفل نوعًا من الارتياح عندما يتحدى السلطة الأبوية، وكأنه بهذا يرسل نداءًا تحذيريًّا لوالديه، أن سبب كذبه هذا هو إهمالهم إياه، وهذا الكذب غالبًا ما يكون عرضيًّا، لكنه إذا تكرر وأصبح نمطًا سلوكيًّا (عادة) عندها يكون حالة مرضية تستوجب العلاج.

5- الكذب الانتقامي: lie of Revenge

وهو الكذب الذي يمارسه الطفل من أجل الإيقاع بالآخرين والانتقام منهم عن طريق إلصاق التهم بهم، بما يوجب عقابهم أو يشوه سمعتهم، ويحدث هذا الكذب نتيجة للانفعالات الحادة التي يتعرض لها الطفل، والتي تهز ثقته بمن حوله، وقد يكون الدافع لذلك هو شعوره بالغيرة أو الغبن لعدم المساواة بينه وبين الآخرين، وهذا النوع من الكذب يُعدُّ خطرًا على الصحة النفسية للطفل؛ لأنه ينتج عن حقد وكراهية، فهو إذا كذبٌ مقصودٌ منه إلحاق الأذى بمن يكره، والطفل الذي يمارس الكذب الانتقامي يصرف وقتًا طويلاً في التخطيط والتدبير للموضوع الذي يعده للكذب قبل أن يطرحه أمام الآخرين، ويحاول تدعيمه ببعض الأقوال والأفعال من أجل أن يكون مقبولاً ويحقق الهدف، وبعض الكبار من الآباء والمعلمين قد تنطلي عليهم أحابيل مثل هؤلاء الأطفال فيوقعون العقاب بالهدف الذي اختاره الطفل الكاذب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن للوالدين والمعلمين دور رئيسي في شيوع هذا النوع من الكذب بين الأطفال؛ إما لاستخدامهم أساليب غير عادلة في التعامل مع الأطفال والتفريق فيما بينهم، أو جعل البعض منهم عرضة للتندر والاستهزاء، أو وصم بعضهم بألقاب تثير الضحك والاستهزاء؛ إن هؤلاء الآباء والمعلمين سيكونون بلا شك ضحية أمام الأطفال الذين يمارسون هذا النوع من الكذب؛ لأن الموضوعات (الملفقة) التي ستطرح أمامهم سوف يحقق من خلالها الطفل الكاذب هدفين؛ هما الانتقام من معلمه أو والده ؛ لأنه كان السبب في إثارة حفيظته، وذلك

بتمرير هذا الموضوع الملفق عليه، والهدف الثاني هو الإيقاع بمن يحاول أن يثير غيرته أو حقده، وبالتالي يفرغ ما فيه من حقد وكراهية، وينتقم لكرامته المهدورة.

6- الكذب الغرضي: Lie of target

ويسمى أيضًا بالكذب الأناني أو الاستحواذي، والدافع لهذا النوع من الكذب هو فقدان ثقة الطفل ببيئته، وبالكبار المحيطين به لوقوفهم في سبيل تحقيق رغباته، ولعلمه أن مطالبه لن تجد استجابة إن هو سلك الطريق العادي لتحقيقها، لهذا فهو يشعر بالحاجة الدائمة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء، وهو يكذب في سبيل تحقيق ذلك، حتى وإن كان في غير حاجة إلى هذه الأشياء.

7- كذب التقليد: Lie of Imitation

وينجم عن تقليد الطفل لمن حوله وخاصة والديه في الكذب، فقد يكتشف الطفل أن والديه يكذب أحدهما على الآخر، أو أن أحدهما أو كليهما يكذب عليه من خلال وعودهم الكثيرة التي يعدونه بها ولا يفيان بها، ويختلقان مختلف الأعذار لتبريرها، وعملية التقليد هذه ما هي إلا عملية نمذجة Sampiling ، أي: إنه ينمذج سلوكه على أساس ما يشاهده ويسمعه من الآخرين، فالطفل يقلد الإنسان الأقرب إليه، وكلما ازداد تشابه النموذج مع المشاهد (المقلِّد) ازدادت نسبة تقمص النموذج.

8- الكذب المرضي: Lying pathological

ويسمى أيضًا بالكذب المزمن؛ لأنه يشير إلى أعراض اضطراب سلوكي، وإلى فشل الطفل في اكتساب مستويات من السلوك الاجتماعي المقبول، فالطفل يكذب دونما إرادة منه، ويصبح الدافع لذلك دافعًا لا شعوريًّا، ونتيجة لتفاقم حالة الكذب هذه فإن الطفل قد يلجأ إلى السرقة أيضًا؛ لأنه يعاني من شعور شديد بالنقص والعجز وفقدان الثقة بالنفس، وعدم القبول سواءً من الأسرة أو من أقرانه؛ لأنه كذاب، فيحاول أن يحقق رغبته الشديدة في النجاح أو أن يحقق بعض الحاجات والرغبات التي يهدف إليها عن طريق الكذب، وهذا النوع من الكذب إذا لم يعالج في وقت مبكر؛ فإنه يصعب علاجه إذا ما استشرى وأصبح سلوكًا مرضيًّا مزمنًا.

9- الكذب الدفاعي: Lying Excusive

ومن تسمياته أيضًا الكذب التبريري أو الوقائي والتستري، وكذب الخوف من العقاب، وهذه التسميات كلها ما هي إلا مترادفات قد تعطي مفهومًا واحدًا، وهو أن الطفل - شأنه شأن أي إنسان - يبحث عن اللذة ويتجنب الألم، ولأن العقاب ينطوي على ألم، فإنه يلجأ إلى الكذب ليبرر خطأً ارتكبه أو ليحتفظ لنفسه بامتياز ما، أو ليبتعد عن العقاب الذي ينتظره.

والكذب الدفاعي هو أكثر أنواع الكذب شيوعًا، وقد يلجأ إليه الأطفال ضعاف الشخصية والاتكاليين، والذين يعانون من القلق المستمر، وقد يصبح الكذب الدفاعي لديهم حالة مرضية يحتاج فيه الطفل إلى تخطيط وتدبير مسبقين، كما أنه يستلزم قدرًا من الغش والخداع والحيلة كي ينطلي على الآخرين وتمر الأكذوبة بسلام.

أسباب الكذب:

1) الشعور بالنقص: ويبرز ذلك لدى بعض الأطفال الذين يعانون من عيب بدني أو نفسي، أو بسبب المعاملة السيئة والقاسية التي يلقاها من والديه أو المحيطين به من الكبار، لهذا يلجأ إلى الكذب من أجل رفع شأن نفسه أمام الآخرين، ولكي يكون محط إعجاب وتقدير زملائه، فهو يتفنن في تأليف القصص الوهمية، ويرسم لنفسه فيها أدوارًا مهمة مليئة بأعمال البطولة والجرأة والإثارة، وهذا السلوك مرده الشعور بالنقص الذي لا يمكن تعويضه إلا بمثل هذه الادعاءات الكاذبة، وعليه يمكن أن نطلق على هذا النوع من الكذب (الكذب الادعائي).

2) التقليد: ويتعلم الطفل الكذب من والديه الذين يمارسان الكذب أمامه، أو يزرعان فيه بذوره، فالأم التي تقسم أغلظ الأيمان لطفلها أنها ستقوم بمعاقبته بعد انتهائها من عملها، أو أنها ستطلب من أبيه أن يعاقبه بعد أن يعود إلى البيت، ولا تفعل، والأبوان اللَّذان يخبران طفلهما أنهما سيأخذانه إلى زيارة قريب لهم بيناهما يأخذانه ليعطى حقنة طبية، أو الأب الذي يطلب من طفله أن يخبر الزائر الذي

يسأل عنه أنه غير موجود...كل هؤلاء وأمثالهم إنما يُعوِّدون أطفالهم على الكذب، وعلي أساليب وفنون ممارسته؛ لأن الطفل مقلد جيد، وأكثر الناس الذين يقتدي بهم ويقلدهم هم أبويه، وهذا الكذب يطلق عليه (الكذب بالعدوى).

3) الحرمان : وهذا الموضوع ذو شقين ، فالطفل الذي يعاني من حرمان العطف الأبوي بسبب تفكك الأسرة إنما يلجأ إلى الكذب بمختلف الطرق والوسائل ليكسب عطف والديه وذويه، أي: إنه يمارس سلوكًا انتهازيًّا مصلحيًّا بقصد تحقيق قدرٍ كافٍ من المودة والعطف اللذين يحتاجهما بأيِّ وسيلة، وهو بهذا سوف لا يجد أسهل وأرخص من الكذب لكي يمارسه ويحصل على ما يريده، والشق الثاني من هذا الموضوع هو أن الطفل الذي يعاني من قمع دائم وكبت مستمر لبعض رغباته التي لا يجد من يلبيها من أبويه أو من المحيطين به، فإنه يلجأ إلى الكذب لكي يشبع هذه الرغبات التي حرم منها، وهو بهذا يقوم بعملية تفريغ للرغبات المكبوتة التي يعاني منها، كالطفل الذي يكذب على أصدقاءه مدّعيًا بأن والديه قد اشتريا له دراجة هوائية، وبعد فتحها تبين أن لونها لا يعجبه فأجبر والديه على إعادتها للبائع، ولأن اللون الأحمر(الذي يحبه) غير متوفر حاليًا لدى البائع، فإنه قد وعده بواحدة حمراء عما قريب.. وهكذا يروح الطفل ينسج قصصًا وهمية في محاولة منه – دون قصد – لإفراغ رغباته المكبوتة والتي حرم من التمتع بها، وهذا النوع من الكذب هو (الكذب الغرضي).

4) الانتقام: ومرد ذلك هو الغيرة الشديدة التي يشعر بها الطفل نحو أحد إخواته أو أي طفل آخر، فيقوم بإلصاق كل الذنوب والأخطاء التي تحصل في البيت أو المدرسة بالطفل الذي يغار منه، أو أن الانتقام قد يتخذ شكلًا آخر عندما يشعر الطفل أن والديه غير عادلين في تعاملهما معه، وعندما يجد أن هناك تمييزًا واضحًا في توزيع المحبة والاهتمام والعطف بينه وبين إخوته من قبل والديه، فتتولد الكراهية لديه، وتظهر بشكل حيل ومكائد يصوغها هذا الطفل لمن يكرهه من إخوته – الذي يعتقد أنه ينال حظوة أكبر منه لدى والديه – فيلصق به تهمًا لم يقترفها بقصد الإيقاع به والانتقام منه، ومن والديه الذين يحيطانه برعاية خاصة، وهذا النوع من الكذب هو (الكذب الانتقامي).

5) العقاب: تسرف بعض الأسر في فرض ضوابط عقابية صارمة على أطفالها بدعوى أن هذا الأسلوب هو الوسيلة الوحيدة التي توقف بعض تصرفات الأطفال عند حدّها، وتمنع تكرارها، غير أن المبالغة في إنزال العقاب سوف تخلق في ذات الطفل خوفًا سوف لا يجد أي مفر للتخلص منه إلا بالكذب، فالطفل الذي يكسر – دونما عمد – طبقًا في المطبخ، ويعرف أن والدته سوف تعاقبه على ذلك، وأنها سوف لا تتسامح معه أبدًا سوف يضطر لنكران فعلته، أو إلصاق هذه التهمة بأحد إخواته الصغار، أو أن بعض المعلمين يكلفون تلاميذهم بواجبات منزلية طويلة وصعبة ، إلى حدٍّ يعجز الطفل عن تنفيذها، إنما هم يُلجئون تلاميذهم – العاجزين – للتوسل بكل أساليب التلفيق والمخادعة واختلاق أنواع الأكاذيب كما يتخلصوا من عقاب معلمهم؛ لأنهم لم ينجزوا الواجب كما أراد، وهذا هو (الكذب الدفاعي).

6) التحايل: والطفل قد لا يجد وسيلة يحقق بها هدفًا معنيًّا يبتغيه بالوسائل العادية، فيلجأ إلى الكذب على سبيل التحايل لتحقيق هذا الهدف، فعندما يجد في حانوت المدرسة حلوى يحبها ولا تتوفر لديه النقود؛ فإنه قد يكذب على والديه مدعيًا بأن المعلم يطلب منه مقدارًا معينًّا من النقود ثمنًا لكتابٍ معينٍ أو حاجة تطلبها المدرسة، وهذا هو (الكذب التبريري).

7) الخيال: يتمتع الطفل بخيال واسع رحب وخصب؛ ولأنه كذلك فإنه غيرُ قادرًا على التمييز بين ما هو واقع وما هو خيالي ، خصوصًا دون سن الخامسة من العمر، وهذا الكذب هو غير حقيقي، ويمكن أن نطلق عليه (الكذب الخيالي أو الالتباسي).

العوامل المدرسية المشجعة على الكذب:

من خلال عرضنا لأسباب الكذب تبين أن المدرسة تسهم إلى حد كبير في تشجيع الكذب وفي غرسه وتثبيته لدى التلاميذ الصغار من خلال عوامل عديدة، تأتي في مقدمتها العقوبات الانضباطية الصارمة؛ كالفصل من المدرسة، وخصم

درجات السلوك، والعقوبة البدنية، وعدم تسامح المعلمين مع التلاميذ، وانتفاء التفاهم القائم على الأخذ والعطاء، والواجبات المنزلية التي تعطى للتلميذ بشكل اعتباطي دون مراعاة لظروفه النفسية والمنزلية، أو لقدراته وإمكانياته، فضلاً عن أن بعض المعلمين عندما يكلفون تلاميذهم بالواجبات المنزلية فإنهم لا يتأكدون أو يسألون عن المهام والواجبات المنزلية الأخرى التي كلفهم بها المعلمون الآخرون؛ مما يترتب عليه ثقل هذه المهمات وتراكمها على التلميذ الذي يقف أمامها عاجزًا مذهولًا لا يقدر على الإيفاء بها.

ومن جانب آخر فإن الامتحانات المدرسية، والهالة القدسية التي تحاط بها، وأجواء الرهبة التي تفرضها بعض المدارس أو المعلمين كل ذلك يدفع التلاميذ الصغار إلى التوتر والقلق والضغوط النفسية التي لا مبرر لها ، وثمة عوامل مهمة أخرى تدفع الأطفال إلى الكذب؛ ألا وهي المزاجية التي يتصف بها المعلِّمون، وعدم عدالتهم ودقتهم في توزيع الدرجات، والانفعال الأخرق لأتفه الأسباب، وعدم التمييز بين الأطفال تبعًا لمبدأ الفروق الفردية، كل ذلك وغيره من الأسباب يُنفِّرالتلميذ من المدرسة والمعلم ومن النظام المدرسي، ويدفعه إلى الكذب لوقاية نفسه من العقاب وتجنيبها الأذى، ولكي لا يظهر أمام الآخرين بمظهر العاجز أو المخالف أو المتهم، فالطفل الذي يعرف أن المعلم أو النظام المدرسي يحاسبه على كل كبيرة أو صغيرة؛ فإنه يلجأ إلى الكذب لكي يحمي نفسه من العقاب، ويتذرع بشتى الحجج والذرائع لكي يبتعد عن طائلة العقاب، والتلميذ الذي يعجز عن الإيفاء بالمهمات الواجب إنجازها في البيت؛ فإنه يلجأ إلى الآخرين الكبار ليساعدوه على حل معضلته هذه، ومن ثم يدعي – كذبًا وبهتانًا – أنه هو الذي أنجز هذه المهام، وهو بهذا يحقق لنفسه زهو الانتصار وفرحه، وتجنب العقوبة والحصول على الإثابة، ومن ثم الانتقام من المعلم الذي يملي عليه ما لا يقدر عليه.

وفي حالة الامتحانات وأجوائها الرهيبة وتوقع الفشل والرسوب، فإن التلميذ قد يلجأ إلى الغش، وهو نوع من أنواع الكذب، محققًا بذلك لنفسه غرضين مهمين؛ هما النجاح بسهولة ويسر وبأقل مجهود، ثم الانتقام من المعلم الذي يحاول فرض أجواء بوليسية إرهابية على هذا الطفل أو غيره.

علاج الكذب:

علاج الكذب يتوجب دراسة كل حالة على حدة، وتقصي البواعث الحقيقية للكذب، والوقوف على حقيقة الأمر لمعرفة ما إذا كان الكذب حالة عرضية أم أنه عادة لدى الطفل؛ وهل هو لدافع معين أم هو كذب مرضي أساسه الدوافع اللاشعورية؟ وهل هو كذب نادر أم متكرر ومتواتر؟ حتى تسهل عملية المعالجة؛ وعمومًا يمكن اتخاذ التدابير الآتية لعلاج الكذب لدى الأطفال:

1- الابتعاد عن معالجة الكذب بالعقاب والتشهير والسخرية ووسائل الحط من كرامة الطفل، فهذه الوسائل فضلاً عن أنها تترك أثارًا سلبية على نفسية الطفل؛ فإنها قد تؤدي إلى اكتسابه عادات سيئة أخرى، كالغش والخداع والتحايل للإفلات من العقاب.

2- تجنب الظروف التي تشجع على الكذب، وعدم الاعتماد على شهادة طفل يمتلك هذه العادة في حادثة ما ؛ لأن هذا يعطيه فرصة لترويض عادة الكذب ومن ثم تثبيتها بالتكرار والتمرين.

3- لا يجوز إيقاع العقوبة على الطفل بعد اعترافه بذنبه؛ لأن ذلك يقلل من قيمة الصدق ومكانتها في نظره، كما أن الاعتراف بذنبه دليل على إمكانية إصلاحه، فالكثير من الأخطاء التي نعاقب عليها الأطفال ناتجة عن قصور عقولهم عن فهمها، لكنهم إذا فهموها فإنهم لن يعودوا إلى تكرار الخطأ الذي يستوجب العقوبة أو الكذب.

4- يجب أن يحل التسامح والمرونة والتفاهم محل القانون مع الأطفال الذين يلجئون إلى الخيال للتعبير عما في دواخلهم، ويكفي أن نذكرهم بين فترة وأخرى أنهم أصبحوا كبارًا، وأن عليهم أن لا يخلطوا بين الخيال والواقع.

5- إشباع الحاجات النفسية الضرورية للطفل، وهي الشعور بأنه محبوب، والشعور بالثقة بالنفس والاطمئنان النفسي، والعدالة في توزيع الحب والاهتمام بين الأبناء، واكتشاف القدرات الذاتية للطفل وحسن توجيهها وتنميتها.

6- الإيفاء بالوعود التي يقطعها الآباء لأبنائهم، وعدم التلفظ بأي وعد أمام الطفل لا يمكن الإيفاء به؛ لأن هذا الأسلوب من المماطلة والتسويف في الوعود وعدم تنفيذها سوف يكسب الطفل عادة الكذب.

7- يجب أن يكون الآباء والأمهات قدوة حسنة لأبنائهم؛ فالذين يتباهون بالأكاذيب ويتفننون بها، إنما يدفعون أبناءهم إلى تقليدهم في هذا السلوك المنحرف الذي إذا ما أصبح عادة مستأصلة فإنه يصعب علاجه فيما بعد، فالكذب أسهل الذنوب اقترافًا؛ لكنه أكثرها خطورة على حياة الفرد في كل مراحل حياته.

8- عدم المبالغة والتشديد في غرس قيمة الصدق بحيث تصبح موضوعًا يشعر الطفل بخطورته، فيستخدمه لتهديد والديه عندما يجد حاجة إلى ذلك، ويكفي أن نقول: إن الطفل إذا ما شب في بيئة شعارها الصدق قولاً وعملاً؛ فإنه سينشأ صادقًا أمينًا.

9- اللجوء إلى العيادات النفسية لعلاج حالات الكذب الناتجة عن الاضطرابات النفسية، والتي يخفق الأبوان في علاجها.

* * *

2- السرقة Stealing

السرقة أساسها الاستحواذ على ما يملكه الآخرون بدون وجه حق، وفكرة التمييز بين ما للفرد حق فيه وما ليس له فيه حق ليست سهلة، فالطفل يشعر شعورًا تلقائيًّا بالحاجة للاستحواذ على أي شيء في سن مبكرة، ويختلط الأمر عليه ويرتبك تفكيره عندما لا يُعَلَّم منذ الصغر بأن هناك أشياء مملوكة له وأشياء مملوكة لغيره، وكثيرًا ما يحدث ذلك بحسن نية من الآباء عندما يشترون لأولادهم لعبة واحدة يلعبون بها جميعًا معتقدين أنهم يعلمونهم التعاون والإيثار بدلًا من الأنانية والأثرة، إلَّا أن ذلك قد يؤدي إلى عكس المطلوب، إذ إن الصحيح هو أن يكون للطفل لعبته الخاصة، وأن يعوَّد بعد ذلك على أن يلعب بها مع غيره، ويعني ذلك أنه يتعين تشجيع الشعور بالملكية لدى الطفل منذ سنوات حياته الأولى، على أنه لا يجوز أن يبالغ في تشجيعه إلى حد بروز صفات الأنانية والجشع لديه، كما لا يجوز أن يكبت الشعور بالملكية إلى الحد الذي يعجز معه الطفل عن التفرقة بين ما يخصّه وما يخص غيره، وبالتالي تضطرب لديه فكرة التمييز بين حقوقه وحقوق الغير.

وبالتأكيد فإن كل أم أو أب يغضبان ويشعران بالقلق عندما يريان طفلهما الصغير يسرق شيئا ما، أو يستولي على ما لا يخصه، ويخشيان من هذه الظاهرة السلوكية المريبة؛ على أننا إذا نظرنا إلى الأمر نظرة واقعية فسوف نجد أن معظم الأطفال يسرقون في بعض الأوقات دون أن يكون قصدهم هو السرقة، فالطفل يتصرف من خلال مشاعر ومواقف معينة، ولذلك فعلى كل أم أو أب أن يعيدا النظر في موقفهما من طفلهما في مثل هذه الحالات، فهذه السرقات تتميز بالبراءة ، ومن ذلك أن يستولي الطفل على شيء لا يخصه؛ لأنه لا يعرف حدود ملكيته وحدود ملكيات الآخرين، ويكون ذلك بسبب عدم اهتمام الوالدين بتعليمه هذه الحدود التي تفرق بين الملكية الخاصة وبين ما يخص الآخرين.

ويبدأ تعليم الوالدين عندما يدركان أن هذا الطفل قد نما من الناحية العقلية والاجتماعية إلى الحد الذي يستطيع أن فيه يفرق بين ما له من أشياء وما لغيره، وأن

أي اعتداء على هذه الحقوق تسميه الناس بالسرقة؛ وهي صفة ذميمة مرذولة لا يحبها أحد، وأن هناك صفة حميدة محبوبة تقابلها تسمى الأمانة؛ وهي احترام ممتلكات الغير وعدم الاستحواذ عليها، ولكي نحقق ذلك يمكن أن نبدأ معه ببساطة وتلقائية، فلا نتصرف بأشياءه وملابسه ولعبه أو نقوده إلَّا بعلمه ورضاه، ونحاول أن ندفعه لممارسة نفس هذا الأسلوب مع الآخرين ممن يلعب أو يتعامل معهم. وكثيرًا ما يتعلم الطفل السرقة عندما يأخذ أشياء صغيرة لا تخصه خفية، كالحلوى أو بعض النقود من الآخرين، كما أن لموقف الوالدين من الطفل في السرقة الأولى أثر كبير في اعتياده عليها، فاجتهاد الوالدين في تخبئة ما يخافان عليه مثلًا قد يدفع الطفل إلى التفنن في أساليب الوصول إليه، وإذا نجح في ذلك فإنه يشعر بلذة الانتصار، فيعاود الكرة في مواقف أخرى لاحقة وتتكرر سرقاته للاستئثار بما أُخفي عنه، ولكي يحتفظ بلذة الانتصار على الدوام، مما قد يؤدي إلى تكوين ميول وعادات يشبعها عن طريق السرقة كالتدخين وارتياد أماكن اللهو وغير ذلك.

ومن المهم في هذا المجال هو عدم وصف الطفل بأنه لص أو سارق – حتى على سبيل المزاح – لأن ذلك قد يثير الرغبة لديه في التحدي والعناد بالاستمرار في سلوكه، وعلى الوالدين أن يبذلا جهدهما للارتقاء بمفهوم الشعور بالملكية لدى الطفل، وذلك بتخصيص مكان يحفظ فيه أشياءه الخاصة به، ويمرناه على كيفية تنظيفها وترتيبها والمحافظة عليها، فتصبح عزيزة عليه، وهذه النظرة ستنعكس بالضرورة على الأشياء الخاصة بغيره لعلمه المسبق أن ملكية أي شيء تحتاج الى جهد لاكتسابها وللمحافظة عليها، بما يجعله يحرص على ما يمتلكه، كما يحرص على عدم المساس بما يمتلكه الآخرين.

دوافع السرقة وأسبابها:

دوافع السرقة لدى الأطفال كثيرة ومختلفة، فمنها دوافع مباشرة، ومنها دوافع غير مباشرة، ولكنها في ظاهرها لا تدل على سلوك السرقة كما نفهمه نحن الكبار، ومن هذه الدوافع:

1- تأكيدًا للذات وسط جماعة الأقران، فالطفل من خلال السرقة يحاول أن يبدو أمامهم بأنه يمتلك القوة والقدرة والسطوة، وبأنه يتمكن من الحصول على ما يريده بهذا الأسلوب.

2- حرمان الطفل من بعض الأشياء التي يستطيع توفيرها لنفسه، أو أن الأسرة تمنعها، أو لا تستطيع توفيرها له، بينما يجدها متوفرة لدى غيره من أقرانه؛ فيعمد إلى السرقة لتلبية هذه الحاجة لنفسه وإشباعها.

3- وتدفع مشاعر الدونية والنقص والضّعة لدى بعض الأطفال لأن يسرقوا، كمحاولة منهم للتعويض عن ذلك، والظهور أمام أقرانهم الآخرين- الذين يرونهم أفضل منهم اجتماعيًّا أو علميًّا - بمظهر القوة، والعمل على كسب الشهرة والنفوذ لديهم أو لدى غيرهم، في محاولة للمساواة بهم .

4- وقد يكون الدافع للسرقة هو الغيرة من الإخوة أو من بعض الأقران والأصدقاء، عندما يجد الطفل أنهم يمتلكون من النقود والحلوى واللعب ما يجد نفسه عاجزًا عن توفيرها لنفسه، فيلجأ إلى سرقة هذه الأشياء منهم، أو أن الغيرة من الأخ الأصغر، أو المولود الجديد قد تدفع بالطفل لأن يسرق بقصد جذب انتباه والديه الذين انشغلا عنه بالمولود الجديد وحوَّلا اهتمامهما إليه.

5- تبرير الوالدين لمواقف أطفالهما - عندما يعتدون على حقوق الآخرين، وينفون عنهم تهمة السرقة بدعوى أنهم ما زالوا صغارًا لا يدركون ما يقومون به، أو التغاضي عما يأخذونه من الآخرين داخل الأسرة بحجة أن هذه الأشياء هي ممتلكات الأسرة- قد يشجع الطفل على التمادي في استحواذه على أشياء الآخرين وسرقتها.

6- الحرمان من الدفء العاطفي والحنان، ومعاملة الطفل بقسوة، والتفريق بين الأبناء في المعاملة، قد تدفعه لأن يسرق كأسلوب انتقامي من والديه، وقد يكون الانتقام بالسرقة من الأصدقاء والأقران كنوع من الثأر الذي يمارسه الطفل نحو من يسيئون إليه أو يهينونه أو يعتدون عليه، وأغلب السرقات التي تحصل في المدارس هي من هذا النوع.

7- وقد تكون دوافع السرقة هي الضعف العقلي، وانخفاض مستوى الذكاء، أو الوقوع تحت سيطرة طفل آخر (زعيم) أو مجموعة أطفال أذكياء من أقرانه يدفعونه للسرقة وتحقيق مآربهم بواسطته.

8- وقد تحدث السرقة أحيانًا نتيجةً لحالات مختلفة من الصراع النفسي اللاشعوري، وتدخل في هذا النوع حالات السرقة التي تحصل بطريقة غير إرادية، أي: إنها تكون قهرية ينساق إليها الطفل دون إدراكٍ منه لخطورتها، وهذه الحالة خطيرة وتستدعي العلاج السريع الذي يقوم به الأخصائي النفساني.

9- وهناك دوافع أخرى للسرقة، منها مثلاً ميل الطفل لهواية ما، وعدم امتلاكه المال الكافي لإشباعها ، مثل ركوب الدراجات، أو ارتياد السينما، أو الرسم، أو جمع الطوابع... إلخ.

10- وقد تكون دوافع السرقة هي مرافقة أصدقاء السوء وتقليدهم والاندفاع ورائهم، لاسيما عندما ينجح لمرة أو مرتين في السرقة؛ فإنه قد يتمادى في ذلك، وتصبح عندئذ حالته خطيرة، تستدعي الإيقاف والعلاج السريع.

علاج السرقة:

1- مادامت دوافع السرقة وأهدافها مختلفة ومتباينة، فإن أفضل وأهم ما يجب عمله في علاج هذه المشكلة أن نقف أولًا على دوافعها وغاياتها؛ لنعرف لماذا يسرق الطفل؟ ومن ثم نقوم بالعلاج.

2- إن قطع دابر السرقة وتشكيل سلوك جديد مرغوب - هو الأمانة- لا يأتي أبدًا من خلال العقاب الصارم الذي يفرضه الأبوان على الطفل أو بالعكس، فإن بعض الآباء قد يقفون مدافعين منافحين عن أطفالهم ليردوا عنهم كلَّ تهم السرقة ويصفوهم بالأمانة، وهذا الأسلوب لا يختلف عن سابقه في مردوداته السلبية، ولا يمكن بأي حال أن يكوِّن اتجاه الأمانة بشكل سليم لدى الطفل.

3- احترام ملكية الطفل وتعويده على كيفية احترام ممتلكات الآخرين وأشيائهم، وعندما يحصل تجاوز من قبله نحو ممتلكات، الغير فيجب أن لا نغض

الطرف عن ذلك، بل يجب أن نتدخل فورًا، ولكن بهدوء ورفق لنوجهه إلى هذا التجاوز، ونشعره أنه طالما لا يرغب هو بأن يسلبه الآخرون أشياءه وممتلكاته، فإن الواجب يحتم عليه هو أيضًا أن يفعل ذلك.

4- عندما يسرق الطفل – أو عندما نتصور أن ذلك سرقة – يجب ألا نلح عليه بالاعتراف حيث إننا بذلك سوف نقوده إلى ممارسة أسلوب خاطئ آخر لا يقل خطورة عن السرقة، ذلك هو الكذب، فعندما يكذب علينا ليبرر خطأه ويجد نفسه أنه قد نجا ، فإنه سوف يستمرئ الكذب، وسوف يتمادى في كلا السلوكين السرقة والكذب.

5- إضفاء جو من الحب والعطف والحنان والدفء العائلي، دون إسراف يقود إلى التدليل المفرط الذي ينمي لدى الطفل روح الأنانية التي تهيؤه لممارسة السرقة والاستحواذ على أشياء الآخرين.

6- دراسة حالة السرقة التي يقوم بها الطفل بهدوء وبلا انفعال؛ لمعرفة هل هي الحالة الأولى أم أنها متكرر؟ فإذا كانت عارضة، أو أنها وقعت دون إرادته وأنه قد تورط فيها مثلاً، فيجب أن نكون مرنين إزاءها، ونتسامح معه؛ لأنها وقعت بسبب سوء فهمه وإدراكه لما يقترفه. أما إذا كانت متكررة فإنها تحتاج لدراسة هادئة متعمقة للوقوف على دوافعها ومن ثم حلها.

7- أن يعمل الأبوان على ألا يمنحا الطفل الفرصة ليستثمر سرقته ويحقق غايته منها، بل يشعرانه فورًا بأن ما جناه لا يقود إلّا لخسارته وضعف موقفه أمام أهله، وأن ما يمارسه هو خطأ يجب أن يتجنبه مستقبلًا، ويكون التوجيه من خلال تجارب وأمثلة واقعية يقدمانها له مع شيء من ضبط النفس والهدوء وعدم تهويل الأمر.

* * *

3- مشكلة الخجل Shyness

الخجل حالة انفعالية معقدة، تنطوي على شعور سلبي بالذات، أو على شعور بالنقص والعيب لا يبعث الارتياح والاطمئنان في النفس، مما يدفع بالطفل للانزواء وعدم الاندماج في الحياة، فلا يتعلم من تجاربها ولا يرتبط بصداقات وعلاقات مع الأطفال الآخرين، فتصبح خبراته محدودة لدرجة قد يصبح معها عالة على نفسه وعلى مجتمعه لبعده عن الآخرين وانطوائه على نفسه.

ويظهر الخجل في فتراتٍ معينة من العمر تحت ظروف خاصة في حياة الإنسان، فالمعروف أن من خصائص النمو الاجتماعي أن يمر الأطفال عامة بفترة من الشعور بالخجل، وخاصة عند الاختلاط بالغرباء ، إلا أن الخطورة في ذلك هي استمرار الالتجاء إلى الخجل كوسيلة للهروب من الاحتكاك الضروري بالآخرين، فيتحول الخجل عندئذ إلى عادة قد تتطور إلى أحاسيس مرضية؛ كالشعور بالاضطهاد والعزلة، ويلعب الكبار دورًا مهمًّا في هذا المجال، حيث نجد أن بعض الكبار يولون الخجل تقديرًا اجتماعيًّا، ويعدونه دليلًا على التربية الجيدة التي يريدونها لأبنائهم، فهم يرون في الطفل الهادئ والوديع والذي ليس له أصدقاء بأنه طفل ملاك، والأدهى من ذلك أن هؤلاء الكبار يقومون بمكافئة هذا الطفل على هدوءه، وعلى بعده عن المشاكل التي يثيرها الآخرون، وتفضيله الدراسة على اللعب بشكل دائم، ويمنحونه التشجيع والإطراء أمام الآخرين، مما يدفعه إلى الالتزام بهذا السلوك وتبنيه دون أن يدري هو أو الكبار الذين دفعوه إلى هذا المسلك الخاطئ بوقوعه في شرك الخجل الذي لا يختلف في مظاهره العامة عن الجبن والشعور بالخوف والتردد والهرب من المواقف، ففي دراسة أجراها بيكر Beker وآخرون قارنوا فيها (32) أسرة لهم أطفال مشكلون تراوحت أعمارهم بين 6- 12 سنة مع (25) أسرة لهم أطفال أسوياء، كشفت النتائج أن الوالدين الذين بالغا في التشدد والضبط، وعاقبا محاولات الطفل للاستقلال الذاتي كان أطفالها خجولين جدًّا وهيابين(1).

(1) Beker, W.C, Peterson , D.R. Hallmer, L.A, shoemaker, P.J and Quay H.C (1959) "Factors in parental benaviowin children "Journal of psychology vol.23 p.p118-167.

ولو عدنا إلى الأطفال الخجولين لوجدنا أنهم كثيرًا ما يجدون صعوبة في التركيز على ما يرونه حولهم؛ لأنهم يميلون إلى التفكير في الانطباع الذي يتركونه على الآخرين، وهذا العجز في التركيز قد تكون له آثاره السلبية التي تظهر فيما بعد على شكل صعوبات في التعليم، ومن الممكن أن تشتد الحالة لدرجة تدفع الطفل إلى عدم مشاركة الآخرين داخل الصف، وبالتالي صعوبة تكيفه بالجوِّ المدرسي ونظامه، وإذا ما اضطر إلى البقاء في المدرسة؛ فإنه قد يستمر في كبت عواطفه ويفرط في هدوئه إلى حد الجمود، ويميل إلى الأوهام وأحلام اليقظة.

والأطفال الخجولون عادة ما يكونون ذوي حسٍّ مرهفٍ، لهذا تجدهم يبتعدون عن المواقف التي تحمل معها النقد والتجريح لذواتهم؛ فيزدادون عزلة وانكماشًا ، مما يزيد المشكلة تعقيدًا، فيصبح الخجل حالة يصعب التخلص منها، خاصة إذا ما دخل الطفل في مرحلة المراهقة، حيث إن التغيرات الجسمانية التي تسبق فترة البلوغ بسبب نشاط الغدد -وخاصة الصماء منها- لها آثار بالغة في زيادة الحساسية والخجل عند المراهقين، وفي تثبيت هذه الظاهرة كسمة من سمات شخصياتهم فيما بعد.

مظاهر الخجل:

في البدء لابد من القول بأن للخجل معينين يمكن تمييزهما، حيث يشير المعنى الأول إلى أن الخجل هو: أزمة تحدث في وقت من الأوقات، وبمناسبة من المناسبات. والمعنى الثاني يشير إلى صفة دائمة من صفات الطبع يتصف بها فرد معين فتميزه وتؤثر في حياته وتصرفاته وأفكاره؛ ويمكن القول بأن المعنى الأول إنما يدل على حالة عرضية، يمر بها كل الناس، ويتعرض لها أي إنسان في مختلف مراحل حياته. أما المعنى الثاني – وهذا هو الذي يعنينا هنا – فيمكن القول بأنه حالة مرضية، وأن المصاب بها لابد أن يعالج من هذا المرض الذي يسبب له اضطرابًا وضيقًا، ويسد في وجهه سبل النجاح والتقدم، ويبعده عن المشاركة في أنشطة مجتمعه وحياة أقرانه.

ومظاهر الخجل بوجه عام هي : شلل يصيب الجسم والنفس معًا، يمكن ملاحظته من خلال الحركات المضطربة المترددة والعاجزة، كما يمكن الاستدلال عليه من الأفكار المضطربة والغامضة، والكلام المبهم أو المتلجلج والمتقطع والتعبيرات الفارغة الغبية، وبالطبع فإن احمرار الوجه هو أبرز مظاهر الخجل، وذلك بسبب اندفاع الدم إلى الرأس، وكثيرًا ما يرافق الاحمرار اضطراب في التنفس وخفقان في القلب، ومن المظاهر الأخرى : الحركات الطائشة للأيدي، وإغماض العينين ، وإحاطة الرأس باليدين.

أما المظاهر النفسية للخجل فيمكن إجمالها بالضيق الذي يصل بالطفل الخجول إلى حد الألم، ومما يدل على ذلك أنه يحرص على تجنب المواقف الخجولة بأي ثمن، وكذلك القلق والحساسية المفرطة، حيث يتصور أن الآخرين يتابعون ويتصيدون أخطاءه فيفقد الثقة بنفسه ويحاول الابتعاد عن الآخرين، ويتجنب التعامل معهم، فيخلد إلى الهدوء والسكون ليغرق في أحلامه وأوهامه، وليقيم مع ذاته حوارًا داخليًّا لا ينقطع عن هذه الأحلام والأوهام التي لا تجد لها مكانًا إلا في مخيلته الضيقة، وباختصار فإن نفس الخجول يضمها ضباب مظلم قاتم، ويجثم عليها كابوس مخيف، فضلاً عن انهزامية مريرة.

ومن الصفات والمظاهر الأخرى للخجل المتصل بالطبع هي عزة النفس الثائرة، والكبرياء، وعدم الثقة بالنفس، والميل إلى الظهور والتفوق.

أسباب الخجل:

1- أسلوب التربية الخاطئ لبعض الأسر: ويتضمن هذا الأسلوب صورًا مختلفة، لكن مردوداتها وتأثيراتها السلبية واحدة ومنها:

أ- إبعاد الطفل من قبل والديه عن المجتمع المطلوب أن يندمج فيه ويتفاعل مع أعضائه، وهذا الإبعاد قد يأخذ صورًا تبريرية غير مقبولة؛ منها الحرص، والخوف عليه من الإيذاء، أو بدعوى إبعاده عن أعين الحسّاد، أو الخوف عليه من عدوى الأمراض وما شابه ذلك.

ب- التدليل الزائد للطفل وتوفير كل ما يحتاج إليه، أو إلباسه ملابس لغير جنسه، وإطالة شعره، ومداعبته بأوصاف وألقاب مثيرة لسخرية الآخرين وتهكمهم.

ج- وعلى العكس من النقطة السابقة، فإن التشديد في معاملة الطفل وتوبيخه وزجره عند كل صغيرة وكبيرة، لاسيما أمام الآخرين، وسوف يثير فيه مشاعر الضّعة والدونية وعدم الثقة بالنفس، فينزوي ويتحاشى مثل هذه المواقف .

2- العيوب والعاهات الجسمية: حيث إن بعض الأطفال يميلون إلى العزلة، ويكونون خجولين هيابين بسبب بعض العيوب الخلقية، أو العاهات الواضحة مثل: ضعف السمع أو البصر، أو اللجلجة في الكلام، أو عدم انتظام المشي لعيب معين في أحد أجهزة الجسم المسئولة عن اتساق حركة القدمين، أو بسب الهزال الشديد، أو السمنة المفرطة، أو بعض العيوب الظاهرية على الوجه، كتفلج الأسنان وعدم انتظامها، وما شابه ذلك.

3- أسباب دراسية: ويأتي في مقدمتها التأخر الدراسي، حيث يشعر الطفل بضعف الثقة بالنفس، فيسعى للابتعاد عن الآخرين للتخلص من إحراجهم له، ومن المواقف التي قد يزجّونه فيها ؛ وهنا لابد من التنويه إلى مسألة مهمة جدًّا؛ وهي أن التأخر الدراسي في الوقت الذي يكون فيه سببًا للخجل؛ فإنه قد يكون نتيجة لهذا الخجل، كما لابد من الإشارة أيضًا إلى أنه ليس كل خجول متأخر دراسيًّا، فهناك أذكياء ومتفوقون دراسيًّا غير أنهم خجولين، أي إن لكل حالة مسبباتها ودوافعها، ويجب أن تدرس بشكل مستقل عن مثيلاتها من الحالات.

ومن الأسباب الدراسية الأخرى للخجل والتي يجب عدم إغفالها : النظام المدرسي الصارم ، والمعلم المتشدد في تعامله مع تلاميذه، والأساليب التعليمية العقيمة التي يستخدمها معهم، وصعوبة المناهج وأساليب العقاب المستخدمة في بعض المدارس، يضاف إلى كل ذلك عدم تعاون الأسرة مع المدرسة في متابعة المسيرة الدراسية للتلميذ، وإقالة العثرات والمصاعب التي تعتري مسيرته الدراسية منذ بدء حصولها وعدم تركها لتتفاقم وتصبح مشكلة يصعب معها العلاج.

علاج الخجل:

1- هناك رابطة قوية بين التربية المنزلية والخجل، ومن هنا فإن على الوالدين أن ينتبها إلى أطفالهما بهذا الخصوص، ويقومان بدفعهم إلى الاختلاط مع الأطفال الآخرين، وتشجيعهم على ممارسة هوايات مفيدة، والتعرف على الأصدقاء ممن يميلون إلى مثل هذه الهوايات ، واكتساب خبرات جديدة منهم، والبحث معهم عن أماكن ملائمة لاكتساب مثل تلك الخبرات؛ لتنمية شخصياتهم الاجتماعية على أسس قوية تؤكد ثقتهم بأنفسهم وبقواهم وبتجربتهم الخاصة، ولتحصينهم من ذلك الخجل السلبي الذي قد يصبح مشكلة صعبة العلاج.

2- تربية الروح الاستقلالية لدى الطفل، وعدم الإفراط في تدليله؛ لأن التدليل الزائد ينتج طفلًا اتكاليًّا، لا يثق بنفسه، ولا يعرف كيف يتصرف في بعض الأمور، كما أن نضجه الانفعالي يكون ناقصًا، فيشعر بالعجز والذلّة ولا يقدر على التصرف السليم كما ينبغي.

3- تجنب إثارة كبرياء الطفل عن طريق نقده أو التهكم عليه، فما من شيء يثير عزة نفس الطفل كالتهكم عليه وجعله أضحوكة أمام الآخرين.

4- عدم دفع الطفل للقيام ببعض الأعمال والواجبات التي لا تتناسب مع قدراته واستعداداته، حيث إن ذلك يشعره بالضعف والعجز، فيندفع للعزلة والانطواء.

5- إقامة علاقات ودّية طيبة مع الطفل الخجول، ومحادثته وتشجيعه على الكلام وإبداء الرأي، وخلق جو من الألفة والمودة الطيبة معه، وتوجيه عبارات الإطراء والتشجيع له كلما تطلب الأمر.

6- إذا كانت مسببات الخجل هي علل أو عيوب جسمية؛ فيقتضي الأمر عرض الطفل على الطبيب ليقرر إمكانية تصليح هذه العيوب، أما إذا كانت عيوب خلقية صعبة العلاج والإصلاح فإن التدريب قد ينفع معه، ويجب أن يرافق هذا التدريب تشجيع وتقوية الثقة بالنفس.

7- يجب أن نترك المجال واسعًا أمام أطفالنا لكي يعبروا عن أفكارهم وما يدور في دواخلهم بحرية تامة، فلا نُسِكت أحدًا منهم حينما يفتح فاه، بل إن الأمر يقتضي منا نحن الكبار أن نشجعهم على طرح هذه الأفكار، ونناقشهم فيها في جو ملؤه الألفة والمحبة.

* * *

4- المخالفة وعدم الطاعة Disobeidence

قد يعجب البعض لو قلنا: إن هذه الظاهرة هي ظاهرة إيجابية، ولعل التبرير في هذا القول أنها موجودة لدى كل طفل ، كما أننا نحن الكبار لا نريد أن نرى طفلنا يقف موقفًا سلبيًّا لا رأي له ولا يختلط ولا يناقش الآخرين الذين حوله، هذا فضلاً عن أن الطفل إنما يخالف ويشاكس؛ لأنه لا يفهم ولا يدرك ممنوعات الكبار ومحظوراتهم، ولا يستوعب قواعد السلوك التي يتعامل بها الكبار، لهذا فهو يخالف ولا يرضخ بسهولة لما نريد منه؛ ومما يؤسف له أن الكثير منا (آباء وأمهات ومربين) يرى في الطفل المخالف طفلاً سيئ السلوك، أو غير مؤدب، لا بل قد ينبري البعض منا في استخدام العقاب الصارم لكي يعيد هذا الطفل – الخارج عن النظام كما يتصور إلى جادة الصواب ، فتتعقد الأمور، وقد تصل إلى نتائج غير مرغوبة أو مضرة للطرفين، وقد لا يكتفي أحد الوالدين بإنزال العقوبة بالطفل المشاكس، بل يظل ينعته داخل الأسرة وخارجها وأمام أصدقاءه بأنه إنسانٌ حقودٌ أنانيٌّ مشاغبٌ مشاكس، وأنه سيسحب منه حبه وولاءه، وسوف يحرمه من بعض الامتيازات والحقوق داخل الأسرة إن استمر في سلوكه هذا.

إن الطفل المخالف أو المشاكس هو طفل لا يقتنع بسهولة ولا يلتزم بما يقال له أو يوجه به ، طفل كثير الحركة ، يحدث باستمرار ضوضاء وجلبة ، ويريد أن يمسك بكل شيء، وأن يتأمل كل شيء، ولديه أفكار كثيرة وآراء عديدة فيما يقوم به وما يمارسه، وقد يصب غيظه وحنقه على أقرب الناس إليه، فعندما يظن أن أمه لا تحبه كما يجب أو أنها عصبية معه، أو مشغولة عنه دائمًا؛ فإنه يريد أن يثأر لنفسه منها ومن صرامتها ، فيوجه غضبه نحوها، أو أن مخالفته ومشاكسته قد تأخذ صورة الاستحواذ على أشياء الأطفال الآخرين في الأسرة وممتلكاتهم ولوازمهم وكتبهم وملابسهم بقصد إغاظتهم وإزعاج ذويهم، أو أنها ترتبط بالسخرية الجسمية والعقلية والخلقية من الآخرين لتصل إلى حد الإيذاء والعدوان عليهم.

أسباب المخالفة وعدم الطاعة:

المخالفة أو المشاكسة كظاهرة سلوكية لا تظهر من فراغ أو دونما سبب، إنما تحركها دوافع وأسباب كثيرة لتجعل من الطفل الهادئ الوادع طفلاً مشاكسًا لا يطاق؛ فالطفل يصبح غضوبًا معاندًا مخالفاً مشاكسًا عندما يعاقب لذنب يراه – من وجهة نظره- لا يستحق العقاب، وحتى إذا أحس بأن عقابه يحمل أحقية ومشروعية؛ فإنه يحاول أن يثأر لنفسه من هذا العقاب، فيبتكر أساليب يخالف بها الآخرين ويتشاجر معهم من أجل إغاظتهم، وليحصل على راحة نفسية مبعثها ثأره لنفسه وللعقوبة التي تعرض لها.

ومخالفات الأطفال قد يكون مبعثها شعور أحدهم بأنه قد فقد الاهتمام من قبل والديه، وأن هذا الاهتمام قد انصب على الطفل الصغير في العائلة أو أكبر الأطفال، عندها يلجأ هذا الطفل إلى خلق نوع من الإزعاج وحالة من الفوضى والمشاحنة داخل الأسرة؛ ليغيظ والديه وليبلغهم رسالته بأنه موجود، وأنه يجب أن يحظى هو الآخر باهتمامهم ورعايتهم، وتلعب الغيرة لدى الطفل دورًا مهمًّا في تأجيج حالة التشاكس والمخالفة لدى الأطفال؛ إذ يشعر الطفل المشاكس بالنقص والاضطهاد والإهمال والقلق؛ فيلجأ إلى هذا الأسلوب كنوع من توكيد الذات، ولتطمين نفسه الحائرة الهائجة، وليعيد الثقة إليها.

وقد يكون للكبار دور في تشكيل هذا السلوك غير المرغوب عندما يمارسوا ضغوطهم على الأطفال، والتي هي بالأساس حصيلة ما عانوه هم إبان طفولتهم من والديهم أو معلميهم، وحرمانهم من ممارسة حقوقهم في اللعب، أو الهيمنة القاسية عليهم واضطهادهم، وعدم فهم وجهات نظرهم، وحرمانهم من العطف والحنان والحب، مما ترك في نفوسهم جروحًا لن تلتئم بمرور الأيام، ونداءً مدوِّيًا على الدوام بأخذ الثأر لتلك الطفولة التعيسة ، لكن للأسف فإن الذين يجب أن يؤخذ الثأر منهم قد غادروا الحياة، أو لم يعد لأخذ الثأر منهم معنىً لسبب أو لآخر، عندها يصبح الأطفال هم الضحية؛ إذ يمارس عليهم نفس الأسلوب الذي عاناه هؤلاء الكبار في طفولتهم.

أما المخالفة والمشاكسة داخل المدرسة فلعل من أسبابها هو طول اليوم المدرسي وما يترتب عليه من تعب نفسي وجسدي يلحق بالطفل، كما أن للنظام المدرسي الصارم والإجراءات الإدارية والروتينية -التي لا تأخذ بنظر الاعتبار حاجات الطفل ودوافعه- دور في ظهور المشاكسة لدى الأطفال، ويمكن أن نضيف إلى الأسباب أيضًا أساليب المعلمين القاسية مع التلاميذ، أو عدم مراعاتهم بشكل منصف ومتساوٍ، وعدم الاهتمام بالفروق الفردية فيما بينهم، أو أي سبب مدرسي آخر يدفع الطفل لممارسة هذا السلوك.

علاج المخالفة والمشاكسة:

لما كانت هذه الظاهرة هي واحدة من ظواهر سلوكية عديدة يسلكها الطفل، وذات صلة وثيقة بمتغيرات اجتماعية ونفسية وفسيولوجية كثيرة، فإن علاجها بإعطاء وصفات جاهزة وعلى شكل نقاط محددة قد لا يكون دقيقًا بالشكل الذي يطمح إليه كل أب، أو مُربٍّ غير أننا عندما نلجأ إلى تحديد ذلك بنقاط إنما لنسهل مع المعنيين والمهتمين في هذا المجال أمر المعالجة ليس إلَّا ، كما لا يفوتنا أن نقول أيضًا: إن لكل حالة تفاصيل تنفرد بها عن حالة أخرى مماثلة، وعليه فإنه يصبح من المستحيل أن نعطي علاجًا يغطي حيثيات كل الحالات إلا أن الذي يمكن أن يقال في مثل هذه الحالة هو إعطاء عموميات أو قواسم مشتركة لهذه الحالات ليفيد منها من يريد، ثم تبقى تفصيلات الحالات وعلاجها أمر متروك للمعنيين بالأمر ليتدبروه بأنفسهم وبخبرتهم ، عليه فإننا نقدم هنا بعض الوسائل التي تفيد في علاج هذه الظاهرة كظاهرة عامة يشترك فيها أغلب الأطفال:

أ) في البيت (داخل الأسرة):

1- إبداء العطف والحب والحنان للطفل، والإنصات إلى حديثه، والاهتمام بكل ما يتعلق بحياته، ليتمكن من تحقيق الثقة بنفسه ويحترم شخصيته.

2- تجاوز صيغ التهديد والتخويف والعقاب البدني للطفل، وإعطاؤه الحرية الكافية ليمارس حقوقه الطبيعية دونما حرمان أو إعاقة.

3- توفير حاجات الطفل الأساسية في اللعب والحركة والتحدث، وفهم وجهة نظره فيما يفكر ويقول، ومعرفة مشاكله ومساعدته في تذليلها وتهذيب انفعالاته

بلطف ومودَّة.

4- مساعدته على تصريف نشاطه الزائد خلال أوقات الفراغ بوسائل وأساليب مفيدة ومسلية.

5- مساعدة الطفل في إقامة علاقات اجتماعية سليمة في المدرسة وخارجها مبنية على أساس احترام الآخرين ومراعاة حقوقهم.

6- التشاغل وعدم إظهار الاهتمام ببعض السلوك الذي ينطوي على المخالفة والمشاكسة، فإن ذلك يخفف من عملية تثبيت هذا السلوك وتدعيمه، مع مراعاة عدم إعطاءه انطباعًا بأنه يمكن أن يحصل على ما يريد ويفعل ما يحلو له، ولكن يجب إفهامه بأننا نتركه يفعل ما يحلو له بإرادتنا ورضانا.

ب) في المدرسة :

1- تقصير اليوم المدرسي أو تخفيف أيام الدراسة الأسبوعية، وهو أسلوب شائع في كثير من بلدان العالم.

2- تخفيف الإجراءات الإدارية والروتينية اليومية في المدرسة، والتي ترهق الأطفال وتحد من حريتهم وتحرمهم من ممارسة بعض حقوقهم، وإشراكهم في مجاميع تلعب سويًّا، وتقدم مشاريع جماعية لخدمة المدرسة، بما يعزز في نفوس الأطفال قيمة هذا العمل، ويساعد على فهم الأدوار لكل منهم.

3- اهتمام المعلمين بالفروق الفردية بين الأطفال، وأن لا يشغلوا أنفسهم كثيرًا بهذه الظاهرة مادامت مظهرًا طبيعيًّا لا يدل على روح عدوانية أو مسلك جانح.

4- أن يكون المعلم قدوة طيبة في القول والعمل للطفل داخل المدرسة، وأن يبذل له الحب والفهم في التعامل معه.

5- استخدام أسلوب الثواب والعقاب بحذر، بحيث لا تتحول إلى أساليب تعيق نمو الطفل، ويكون مردودها سلبيًّا على مسيرته التربوية والخلقية والدراسية، وأن يكون هناك استقرارٌ في أسلوب الإثابة والعقاب.

* * *

5- التخريب والتدمير Destructivness

سلوك التخريب والتدمير ظاهرة مؤذية للمجتمع وللفرد نفسه، فتدمير الممتلكات العامة وإتلافها ينطوي على عملية هدر كبير ة للأموال العامة في المجتمع، كما أن الطفل الذي يسلك سلوكًا تدميريًّا قد يدفع بنفسه في لحظة من اللحظات إلى هاوية الموت دونما وعي منه؛ وتنشأ هذه النزعة التدميرية لدى بعض الأطفال بسبب عدم وجود من يردعهم أو يوقف سلوكهم هذا ، والأدهى من ذلك أن البعض من الكبار يحاول أن يوجد الأعذار لهؤلاء الأطفال، بدعوى أن ما يقومون به من إتلاف وتخريب إنما هو للممتلكات العامة التي لا تعود ملكيتها لأحد، ولهذا فإن الذي يفعلونه مسموح به، فيما نجد أن هؤلاء الكبار أنفسهم يوقعون العقوبة بالأطفال إذا ما كانت نزعتهم التخريبية هذه موجهة إلى الممتلكات الخاصة في البيت أو السيارة أو زجاج النوافذ أو الأشجار أو أشياء الأسرة المختلفة كالملابس والكتب واللعب وغيرها.

ولابد من الإشارة إلى مسألة مهمة، وهي أن الأطفال بشكل عام ميالون إلى الحل والتركيب والتجريب، والكشف عن الأشياء بأنفسهم ومعرفة خواصها، لهذا فإنهم – وبسبب نقص خبرتهم – يتعاملون مع هذه الأشياء تعاملًا نسميه نحن الكبار تدميرًا أو تخريبًا، بينما واقع الأمر هو ليس كذلك، أو هو ليس مقصودًا لذاته، فالطفل الذي يرى والده يقوم بتشذيب حديقة المنزل، ويزيل بعض الأغصان التالفة أو الأدغال الضارة منها، قد يستغل فرصة غياب والده ليقوم بقص وقطع بعض النباتات والأغصان المثمرة والمزهرة من الحديقة، ويحيلها إلى خراب، أو أن الطفل الذي يرى والده يقوم بفتح غطاء الراديو ليقوم بتنظيفه أو صيانته، قد يقوم هو أيضا بفتح غطاء الراديو والعبث به وتعطيله أو كسر بعض أجزائه.

وهذه الأفعال التي يقوم بها ا لطفل وغيرها لا يشعر معها بأنه يقوم بإتلافها أو يلحق الضرر بها، بل نجده يعجب ويندهش عندما يؤنبه الكبار أو يوقعون به العقوبة على أفعاله هذه ؛ لأنه من وجهة نظره لم يقم بأعمال تستوجب ذلك، وأن ما

قام به إنما هو ترتيب وتنظيم وصيانة وعمل يستوجب الشكر عليه.

والعبث والتدمير الذي يقوم به الأطفال دون سن الخامسة يجب أن لا ننظر إليه على أنه مشكلة؛ لأن ما نسميه نحن تخريبًا هو في واقع الأمر الأسلوب الأساسي والضروري الذي يتعرف الطفل من خلاله على الأشياء وأسرارها ويسبرغورها، وعن طريق التجارب التي يقوم بها يدرك الفرق بين الأشياء، وصفاتها، وهكذا تتعزز خبرته وتزداد، ويصبح قادرًا على فهم الحياة مستعدًّا للاستمرار فيها.

أما بعد الخامسة فإن السلوك التخريبي يعد مؤشرًا على اضطراب السلوك؛ لأنه يتسم بالرغبة الجامحة في تدمير الممتلكات الخاصة بالآخرين أو بالممتلكات العامة، وقد يرجع التخريب والتدمير في هذه المرحلة إلى طغيان الغيرة أو الغضب لدى الطفل، أو إلى صراع عقلي عميق، أو هو رد فعل على معاناة داخلية يعيشها الطفل بسبب الصراع أو التفكك العائلي، لهذا يصبح التدمير وسيلة يفرغ من خلالها الطفل معاناته هذه ، ومن هنا تصبح المتابعة لهذا الطفل ضرورية والبحث عن علاج لسلوكه هذا مسألة مهمة جدًّا.

أسباب التخريب والتدمير:

1- مشاعر الغضب والغيرة ، وعدم الشعور بالأمن، أو الاحساس بقسوة الوالدين، وعدم إشباع الحاجة للحب، أو المشكلات العائلية المتواترة قد تدفع الطفل إلى التدمير والتخريب، رغبة منه في توجيه الأنظار إليه، فهذا السلوك هو صرخة احتجاج يعبر من خلالها عن إحساسه بالظلم والاضطهاد ، لهذا فهو يدمر الأشياء ويتلفها انتقامًا ممن يخلقون لديه هذه المشاعر المقلقة والمؤذية، وكنوع من إثبات الذات.

2- زيادة إفراز الغدة الدرقية، مما يترتب عليه زيادة في توتر الطفل، فيصبح كثير الحركة لا يستقر في مكان، يتناول أي شيء قريب منه يعبث به، ثم ما يلبث أن ينتقل إلى مكان آخر لتناول شيء آخر وهكذا.

3- النشاط الزائد للطفل، وعدم قدرة الوالدين أو البيئة على امتصاص هذا

النشاط وتصريفه بشكل هادئ وأمين بسبب جهل الوالدين، أو فرض قيود على حركة الطفل، أو أن البيئة لا تتوفر فيها المطالب الضرورية لتصريف هذا النشاط.

4- قد يحصل التخريب والتدمير بسبب الذكاء العالي والميول الابتكارية للطفل؛ فيعمد إلى الأجهزة والأشياء المتوفرة أمامه في المنزل، فيقوم بتفكيكها وتركيبها، فيعرضها إلى التلف والأذى، وقد يكون السبب معكوسًا، أي: إن التخريب والإتلاف يحصل بسبب انخفاض مستوى ذكائه، فيقوم بإتلاف الأشياء وتدميرها بشكل عشوائي، غير مقدر لأهميتها وللخسارة التي يحدثها جراء فعله هذا.

5- وقد يكون السبب في التدمير هو لإيذاء الآخرين، أو لإيذاء الذات، ففي الحالة الأولى يعمد الطفل – شعوريًّا أو لا شعوريًّا – إلى إيذاء الآخرين وممتلكاتهم بقصد الانتقام منهم وإيذائهم وتسبيب الخسارة لهم، وقد يكون التدمير موجهًا نحو الذات؛ فيعمد الطفل إلى إتلاف ملابسه أو كتبه أو حتى جسمه ، أو ركوب المخاطر، وهذا السلوك يعود إلى شعور مكبوت بالخطيئة، أو كراهية الذات بسبب كراهية السلطة الضاغطة التي يصعب عليه مواجهتها.

6- ويلجأ بعض الأطفال المدللين إلى التدمير والتخريب؛ لأنهم يعرفون تمامًا أن ما يفعلونه لا يوقعهم تحت طائلة العقاب، وأن أي سلوك يقومون به داخل العائلة وخارجها مقبول من قبل الوالدين مرضيٌّ عنه، لهذا فهم يشعرون أن أي سلوك مهما كانت خطورته وعواقبه مباح لهم.

علاج مشكلة التخريب والتدمير:

يستطيع الوالدان والمعلمون أن يخففوا من السلوك التخريبي والتدميري للأطفال إذا ما اتبعوا القواعد الآتية أو بعضها:

1- أن تحاول الأسر التي فيها أكثر من طفل تخصيص أماكن للأطفال؛ يقضون فيها أوقات فراغهم، وتزود هذه الأماكن بلعب تتناسب مع أعمارهم ومستويات ذكائهم، ويستحسن في هذه الحالة أن تكوه هذه اللعب علمية؛ يمكن تفكيكها

وتركيبها وبطرق وأشكال مختلفة ، حيث إن مثل هذه اللعب فضلًا عن فائدتها العلمية في تطوير المستوى العقلي والذكائي للطفل؛ فإنها توفر له التسلية الممتعة البريئة، ويستحسن أيضًا أن يكون الأطفال المجتمعين في مثل هذه الأماكن متجانسين إلى حدٍّ ما من حيث السن والقدرات العقلية والجسمية، حيث إن ذلك سوف يوفر تجمعات هادئة للأطفال، يعمل فيها الجميع كفريق واحد، أو كخلية نحل منسجمة.

2- امتصاص النشاط الزائد للأطفال، وذلك بزجهم في أعمال وأنشطة مختلفة تناسب قدراتهم وأعمارهم، كالفرق الرياضية والزراعية والأدبية والفنية، والجمعيات التي تعتني بالهوايات البريئة كجمع الطوابع والعملات القديمة وما شابه ذلك.

3- إن الضغط الأسري والمدرسي بحجة الحد من فوضى الأطفال وتحجيم نشاطهم التخريبي هو أسلوب غير تربوي ؛ لأنه يسبب الإحباط Frustration ويقتل روح النشاط والابتكار لدى الأطفال، ويحول بينهم وبين محاولة اللعب والاستكشاف، وبالتالي سوف تخلق هذه الإجراءات التعسفية أطفالًا مترددين هيّابين خائفين، يحسون بظلم الكبار وقسوتهم فيندفعون إلى ممارسة أنشطتهم التي يحبونها سرًّا، ومعروف أن مثل هذا السلوك قد يقود إلى سلوك أكثر إيذاء من السلوك التدميري، ذلك هو الكذب والغش والتزوير والخداع وحتى السرقة.

4- إشاعة جو من الثقة والتفاهم بين الوالدين وأطفالهم، وبين المعلمين وتلاميذهم، وتحقيق أقصى قدر ممكن من الإشباع للحاجات النفسية الضرورية ، واتباع القواعد التربوية السليمة في تهذيب الأطفال وتوجيههم بعيدًا عن القسر والعقوبة، أو النبذ والإهمال، فالمطلوب هو الوسط بين الاثنين دونما إفراط أو تفريط، فخير الأمور أوسطها.

* * *